

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَجَالِي الرَّسُولِ

رقم التـصنيف :
رقم الإبداع لدى دائرة المكتبة الوطنية :
المؤلف ومن هو في حكمه : فاضل السمراشي
عنوان الكتاب : معالي النحو
الموضوع الرئيسي : 1- لغات
2- نحو
بيانات الناشر : عمان - دار الفكر
* تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 9957-07-097-4 (ردمك)

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

1420 هـ - 2000 م



دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

سوق البتراء (الحجيري) - هاتف ٤٦٢١٩٢٨

فاكس ٤٦٥٤٧٦١ ص.ب ١٨٥٢٠ عمان ١١١١٨ الأردن

Hussein Mosque

Tel. : 4621938 Fax: 4654761

P.O.Box: 183520 - Amman - 11118 Jordan

معاني النجوم

الجزء الأول

الدكتور فاضل صالح السعدي

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

اللهم انفعني بما علمتني وزدني علماً.

وبعد:

فانه من المعلوم أن علم (النحو) يُعنى، أول ما يعنى، بالنظر في أواخر الكلم، وما يعترها من إعراب وبناء، كما يعنى بأمور أخرى على جانب كبير من الأهمية، كالذكر، والحذف والتقديم، والتأخير، وتفسير بعض التعبيرات، غير أنه يولي العناية الأولى للاعراب.

وهناك موضوعات ومسائل نحوية كثيرة، لا تقل أهمية عن كل ما بحثه النحاة، بل قد تفوق كثيراً منها، لا تزال دون بحث، لم يتناولها العلماء بالدرس ولم يولوها النظر.

قد أبدو مغالياً في هذا الزعم، ولكن هذا الزعم حقيقة. اننا نعجز عن فهم كثير من التعبيرات النحوية، أو تفسيرها، ولا نستطيع التمييز بين معانيها، فمن ذلك على سبيل المثال:

ما الفرق في المعنى بين قولك: (لارجل -بالفتح- في الدار)، و(ما من رجل في الدار) مع أن كلتا العبارتين لنفي الجنس على سبيل الاستغراق؟

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢] لم نفى العبارة الأولى بـ (لا) والثانية بـ (ما)؟

ما الفرق في المعنى بين قولك (ليس محمد حاضراً) و(ما محمد حاضراً) و(إن محمد حاضراً) أقول ما الفرق في المعنى، وليس في الاعراب؟

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ٦٦] وقوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨] لماذا نفى العبارة الأولى بليس، والثانية بـ (ما)؟

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩]، وقوله: ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: ١١٥] لماذا نفى العبارة الاولى بـ (ما) والثانية بـ (إن)؟

أهو لمجرد التغيير في التعبير، أم هو لمعنى مقصود؟

ما الفرق بين التعليل باللام، وكي؟ أهناك فرق في المعنى بين قولك (جئت لاستفيد) و(جئت كي استفيد) أم هما بمعنى واحد؟

قال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آفِيهِ، كَىٰ نَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [القصص: ١٣] فجاء بالتعليل الاول بكي (كي تقرر) والثاني باللام (لتعلم) فلم كان ذلك؟

أهذا التغيير لمعنى مقصود أم هو لمجرد التغيير؟

ثم ما الفرق بين انواع التعليل المختلفة؟

هناك تعليل باللام مثل ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِفِينَ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

وتعليل بالباء مثل ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠].

وتعليل بمن مثل ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقُوا﴾ [الأنعام: ١٥١].

وتعليل بفي مثل ﴿لَسَكُمْ فِي مَا أَفْضَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤].

وتعليل بعن كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتْيَاهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

وتعليل بعلى كقوله تعالى: ﴿وَلْيُكْفِرُوا بِاللَّهِ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فهل التعليل بهذه الأدوات المختلفة واحد؟

هل هناك فرق في المعنى بين (مع)، و«واو» المعية، في نحو قولك «جئت مع محمد» و«جئت ومحمداً»؟

ما الفرق في المعنى، بين «واو» رب، في نحو قوله:

وليل كأن الصبح في اخرياته حشاشة نصل ضمّ إفرنده غمد
وقوله:

رب ليل كأنه الصبح في الحسـ ن وان كان اسود الطيلسان

ما الغرض من الاتيان بواو الحال في نحو قوله (جاء محمد وبيده حقيية)؟
وما الفرق بين ذكرها وحذفها؟

ما الفرق في المعنى بين قولك، إن تسهر تتعب، إن تسهر تعبت، إن سهرت تعبت،
إن سهرت تتعب (بالجزم). ان سهرت تتعبُ (بالرفع) إن سهرت فتتعب، إن سهرت
فأنت تتعب، إن أنت سهرت تعبت، أنت إن سهرت تعبت، أنت تتعب إن سهرت؟

ما الفرق في المعنى بين قولك:

عندي سوار ذهب - بالاضافة.

وعندي سوار ذهباً.

وعندي سوار ذهب - بالاتباع.

وعندي سوار من ذهب.

وعندي سوار من الذهب؟

ما الفرق بين قولك (جئت إكراماً لك) و(جئت لآكرام لك)؟ إن النحاة يقولون:

كلاهما جائز ونحن نقول: نعم كلاهما جائز، ولكن هل ثمة فرق بينهما في المعنى؟

وغير ذلك وغيره، مما لا يخص موضوعاً دون موضوع، بل هو يعم جميع
الموضوعات النحوية بلا استثناء. فهناك في كل موضوع سوالات أكثر مما ذكرت لا تزال
بها حاجة الى الاجابة عنها.

ربما لا اكون مغالياً اذا قلت نحن لا نفهم اللغة كما ينبغي لأن اكثر دراستنا تتعلق بالعلاقات الظاهرة بين الكلمات اما المعنى فهو بعيد عن تناولنا وفهمنا. بل ربما لا اكون مغالياً اذا قلت اننا نجهل اكثر مما نعلم فيما نحسب اننا نعلم.

ومن هنا نحن محتاجون الى (فقه) للنحو يصل الى درجة الضرورة. صحيح ان قسماً من المسائل المتعلقة بالمعنى عرض لها علم النحو، وعلم البلاغة، لكن لا يزال كثير منها دون نظر. ومن ذلك على سبيل المثال، ما عرضه قبل قليل، فان اكثر هذه المسائل لم تبحث لا في كتب النحو، ولا في كتب البلاغة، ولا في غيرها من كتب اللغة، في حدود ما أعلم.

قد تكون هناك شذرات، أو عبارات متناثرة وردت عرضاً في كتاب تفسير، أو في بحث اعجاز، أو في كتاب أدب، ولكن اكثر هذه المسائل بقيت بلا جواب.

ان دراسة النحو على أساس المعنى، علاوة على كونها ضرورة فوق كل ضرورة، تعطي هذا الموضوع نداوة وطراوة، وتكسبه جدة وطرافة، بخلاف ما هو عليه الآن من جفاف وقسوة.

ان الدارس له على هذا النهج، يشعر بلذة عظيمة وهو ينظر في التعبيرات ودلالاتها المعنوية، ويشعر باعتزاز، بانتسابه الى هذه اللغة الفنية، الثرية، الحافلة بالمعاني الدقيقة الجميلة، ثم هو بعد ذلك يحرص على هذه اللغة الدافقة بالحيوية، وهو وراء كل ذلك يحاول تطبيق هذه الأوجه في كلامه، ويشعر بمتعة في هذا التطبيق.

ان الجهل بالمعنى أدى الى ان تختفي، وتموت ظواهر لغوية كانت شائعة مستعملة ومن ذلك على سبيل المثال، ظاهرة «القطع» الجميلة الدلالة، والتي كانت شائعة شيوعاً كبيراً في الشعر، والنثر، في القرآن وغيره، وذلك نحو قولك «مررت بمحمد الكريم أو الكريم» واكتفي بالاتباع، علماً بأن دلالة القطع، تختلف عن دلالة الاتباع، وان دلالة القطع الى الرفع، تختلف عن دلالة القطع الى النصب.

إن الأوجه النحوية ليست مجرد استكثار من تعبيرات لا طائل تحتها، كما يتصور بعضهم، وإن جواز أكثر من وجه تعبيرى ليس معناه أن هذه الأوجه ذات دلالة معنوية واحدة، وإن لك الحق أن تستعمل أيها تشاء كما تشاء وإنما لكل وجه دلالة فاذا أردت معنى ما لزمك ان تستعمل التعبير الذي يؤدبه، ولا يمكن أن يؤدي تعبيران مختلفان معنى واحداً، إلا إذا كان ذلك لغة، نحو قولك «ما محمد حاضراً» و«ما محمد حاضراً» فالأولى لغة حجازية، والثانية تميمية، ولا يترتب على هذا اختلاف في المعنى. وفيما عدا ذلك لا بد أن يكون لكل تعبير معنى، إذ كل عدول من تعبير الى تعبير، لا بد أن يصحبه عدول من معنى الى معنى، بالأوجه التعبيرية المتعددة، إنما هي صور لأوجه معنوية متعددة.

إن هذا الكتاب محاولة في فقه النحو على النهج الذي أسلفته، انه محاولة للتمييز بين التراكيب المختلفة وشرح معنى كل تركيب.

فهو اذن يدور على المعنى أساساً وبناء. وموضوع المعنى موضوع جليل، وحسبك من جلالته أن اللغة ما وجدت الا للافصاح عنه.

إن تأليف أي كتاب في النحو، أيسر من موضوع هذا الكتاب بكثير، وذلك لأن الأحكام النحوية مذكورة مبينة في كتب النحو لا تكلفك إلا استخراجها، وجمعها في كتاب واحد على حسب الخطة التي تريدها.

وأما هذا الموضوع فليس الأمر فيه أمر جمع أحكام نحوية، ولا ذكر قواعد مبينة، وإنما هو تفسير للجمل العربية، وتبيين لمعاني التراكيب المختلفة، مما لا تجلو أغلبه في كتب النحو، وقد تفزع الى كتب البلاغة والتفسير وغيرها من المظان، فلا تجد شيئاً مما تريد.

فلا بد من ان تضطلع بهذه المهمة أنت بنفسك تنظر في النصوص، وتدقق في الصور التعبيرية المختلفة، لاستنباط المعاني للتعبيرات المختلفة، لقد أمضيت في هذا البحث أكثر من عشرة أعوام، وكان شغلي الشاغل في الليل والنهار أتأمل النصوص،

وأديم النظر فيها، وأوازن بينها، وأدقق فيما تحتمله من معان، وكان القرآن الكريم هو المصدر الأول لهذا البحث، أفهرس آياته بحسب الموضوعات، وانظر في الفروق التعبيرية، وفي السياق الذي ورد فيه كل تعبير، إضافة إلى المظان الأخرى من كتب النحو، والبلاغة، واللغة، والتفسير، وعلوم القرآن وغيرها.

وأنا لا أدعي، أنني وصلت إلى أمور نهائية في كل ما بحثت، وإنما هي -كما ذكرت- محاولة للسير في هذا الطريق فإن أكن قد أصبت فمن الله، وإن أكن قد أخطأت، فمن النفس والشيطان، وأرجو ألا أحرم أجر المجتهدين في الحاليتين. نسأل الله أن يلهمنا الرشد ويجنبنا الزلل، ويهدينا إلى الخير كله، ويعصمنا من الشر كله، إنه سميع مجيب.

فاضل السامرائي

الجملة العربية

عناصر الجملة العربية:

تتألف الجملة العربية من عناصر وأبرز هذه العناصر هي:

١- المفردة: ونعني بها الكلمة مثل أسد، سيف، شجرة.

٢- البناء الصرفي: (الصيغة) كأسماء الفاعلين، والمفعولين، والمبالغة، واختلاف الجموع للاسم الواحد، وغير ذلك مثل طاعن، ومطعان، وطعان، وحمق وأحمق، وسائد وسيد، وسنبلات وسنابل، وأشهر وشهور ونحو ذلك.

وكل صيغة -في الغالب- لها دلالة تختلف عن أختها قليلاً، أو كثيراً، وكما أنهم قالوا: «زيادة المباني دليل على زيادة المعاني» نرى أنّ «اختلاف المباني دليل على اختلاف المعاني».

٣- التأليف بنوعيه:

أ- التأليف الجزئي: نحو رغب إلى، رغب في، رغب عن. فرغب اليه بمعنى تضرّع إليه وابتهل، ورغب فيه أراده واستحبّه، ورغب عنه عزف ومال عنه.

ب- التأليف التام: كالتقديم، والتأخير، والذكر، والحذف، والتوكيد، وعدمه، وما إلى ذلك نحو: زيد قائم وقائم زيد والقائم زيد وإنّ زيدا قائم وما إلى ذلك.

٤- النغمة الصوتية: وهي ذات دلالة على معنى -فالجملة الواحدة قد يختلف معناها باختلاف النغمة كأن تقول: «زيد عند مال» وتشد صوتك على «مال» وتفخم الصوت فيه فيكون المعنى، أنه ذو مال كثير أو متعدد ونحو ذلك. وتقول: «عنده مال» وترقق الصوت وتكسره فيكون معناها أنه ذو مال قليل، لا يعتد به ونحو ذلك. قال أبو الفتح عثمان بن جني: «وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح، والتطريح،

والتفخيم، والتعظيم، ما يقوم مقام قوله (طويل) أو نحو ذلك. وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: كان والله رجلاً، فتزيد في قوة اللفظ بـ «الله» هذه الكلمة، وتمكن في تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها وعليها، أي رجلاً فاضلاً، أو شجاعاً أو كريماً ونحو ذلك.

وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنساناً، وتمكن الصوت بـ «إنسان» وتفخمه فتستغني بذلك عن وصفه بقوله: إنساناً سمحاً، أو جواداً ونحو ذلك. وكذلك إن ذمته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنساناً! وتزوي وجهك وتقطبه فيغني ذلك عن قولك: إنساناً ليماً، أو لحزاً، أو مبخلاً أو نحو ذلك»^(١).

«وقد برهنت التجارب الحديثة على أن الإنسان حين ينطق بلغته، لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات. ومن اللغات ما يجعل لاختلاف درجة الصوت أهمية كبيرة، إذ تختلف فيها معاني الكلمات تبعاً لاختلاف درجة الصوت حين النطق بها. ومن أشهر هذه اللغات اللغة الصينية إذ قد تؤدي فيها الكلمة الواحدة عدة معان، ويتوقف كل معنى من هذه المعاني على درجة الصوت حين النطق بالكلمة. ففي اللغة الصينية كلمة (فان) مثلاً تؤدي ستة معان لا علاقة بينها هي (نوم، يحرق، شجاع، واجب، نعم، مسحوق) وليس هناك من فرق سوى النغمة الموسيقية في كل حالة»^(٢).

٥- التطور التاريخي للدلالة: فدالات التعبير الواحد قد تتغير والمعاني قد تتحول وربما كان من الصعوبة معرفة الأصل للدلالة وذلك نحو قولهم «رفع عقيرته» بمعنى صاح، إذ ليس هناك من علاقة لغوية بين «رفع عقيرته» و«صاح» «فلو ذهبت تشتق هذا بأن تجمع معنى الصوت وبين معنى «ع ق ر» لبعد عنك وتعسفت. وأصله أن رجلاً قطعت إحدى رجله فرفعها ووضعها على الأخرى ثم صرخ بأرفع صوته فقال الناس: رفع عقيرته»^(٣).

(١) «الخصائص» (٣/٣٧٠-٣٧١).

(٢) «الأصوات اللغوية» لابراهيم انيس (١٠٣).

(٣) «الخصائص» (١/٦٦).

وكقولهم «الله دره» للدلالة على التعجب فنحن حين نقول: «الله دره كاتباً أو شاعراً» لا نريد المعنى المعجمي لهذه العبارة، بل ربما لم نفهم المعنى الأصلي لها. وقد اختلف اللغويون في أصل هذا التعبير وأشهر ما ذكر فيه، إن الدر هو اللبن، فمعنى قولهم «الله دره» إن الله سقاه لبناً خاصاً. «أي ما أعجب هذا اللبن الذي نزل به مثل هذا الولد الكامل في هذه الصفة»^(١).

بل ربما تكلم الناس بكلام لا يفهمون معناه ولا الفاظه وانما تعارفوا عليه، أو نقل من لغة أخرى، واختفى المعنى الدلالي واللغوي للأصل، فنحن في العراق نستعمل مثلاً «قزل قرط» في التوبيخ، والغضب، والدعاء على المخاطب، ولكن الناس لا يفهمون القصد الحقيقي من هذا التعبير ولا معناه، وقد استفسرت من كثير من الناس عن معنى هذا التعبير الدارج فلم يعرفه منهم أحد^(٢).

ومن ذلك قولهم في الاستحسان وتحبيد الامر «علوآ» الذي فيه معنى التمني، ولكن الأصل لهذا التعبير قد فقد، وأظن ان أصله «ألا يا حبذا» فاقصر على «ألا يا» تخفيفاً، ثم ابدلت العامة الهمزة عيناً، كقولهم «القرعان» في «القرآن» ثم قلبت «يا» الى «وا» فتغير التعبير الى ما ترى، ومثل هذا التغيير كثير في اللغة.

ونحو ذلك قولهم «حيّ الله» بمعنى «أياً كان». تقول لصاحبك: ماذا تأخذ أهذا أم ذلك؟ فيجيبك «حيّ الله» أي: «أياً كان». وبقية مدة أفكر في أصل هذا التعبير وعلاقته بهذا المعنى، الى أن استقر رأيي على ان أصله «أياً كان» ثم «أيّ اللي كان» ومعنى «اللي» (الذي) عند العامة وأحياناً نقول: «هيّ اللي كان» بابدال الهمزة هاء ثم حذف «كان»

(١) «التصريح» (٣٩٧/١).

(٢) ذكر أحد الفضلاء ان هذا التعبير دخل العامية العراقية من التركية وهو مركب من كلمتين:

١- قيزيل وهي لفظة تركية ومعناها مرض الحمى القرمزية.

٢- كورت وهي لفظة ايطالية الأصل دخلت اللغة التركية ومن معانيها القرين. فكأن الانسان يدعو

على مخاطبه بأن تلازمه الحمى القرمزية.

اختصاراً، وابدلت الهمزة جاء لتقاربهما، فكلتاها من أحرف الحلق فصارت: حيّ اللي ثم حيّ الله.

٦- الاعراب: وهو أبرز ظاهرة، أو من أبرز الظواهر في العربية، ومن أهم عناصر الجملة فيها وسنفرد له بحثاً.

تأليف الجملة العربية:

الجملة العربية - كما يرى النحاة - تتألف من ركنين أساسيين، هما المسند، والمسند إليه. فالمسند إليه هو المتحدث عنه ولا يكون إلا إسماءً، والمسند هو المتحدث به ويكون فعلاً أو إسماءً، وهذان الركنان هما عمدة الكلام وما عداها فضلّة أو قيد.

وليس المقصود بالفضلّة عند النحاة انها يجوز الاستغناء عنها من حيث المعنى، كما انه ليس المقصود بها انها يجوز حذفها متى شئنا. فإنّ الفضلّة قد يتوقف عليها معنى الكلام وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ [الأنبياء: ١٦] فانه لا يمكن الاستغناء عن قوله «لاعين»، وكقوله تعالى ﴿وَلَا تَمْشِي فِي الْأَرْضِ مَرْحًا﴾ [الإسراء: ٣٧] فانه لا يستغنى عن قوله «مرحاً».

والحذف لا يكون في العمدة، ولا في الفضلّة إلا بالقرائن، فان العمدة تحذف جوازاً ووجوباً كالفضلّة، وذلك كحذف كل من المبتدأ والخبر جوازاً، ووجوباً، وحذف عامل المفعول المطلق جوازاً ووجوباً وحذف عامل الاغراء والتحذير جوازاً ووجوباً. وهذه كلها عمد. ويحذف المفعول به والحال وغيرهما من الفضلات. فليس معنى الفضلّة اذن إمكان الاستغناء عنها متى شئنا وانما المقصود بـ (الفضلّة) انه يمكن أن يتألف كلام بدونها، إذ كل كلام لا بد أن يكون فيه عمدة مذكورة او مقدرة بخلاف الفضلّة فانه يمكن ان يتألف كلام بدونها نحو «محمد مسافر» و«فاض النهر».

وقد تخرج بعض التعبيرات على طريقة التأليف هذه ولكن النحاة يتأولون ذلك، كالنداء نحو «يا رجل» فانهم أولوه بـ «ادعو رجلاً» على ما بين التعبيرين من تباين. وكالتعجب نحو «ما أعذب الماء» فانهم أولوه بـ «شيء جعل الماء عذبا».

ولا داعي لأن تخرج كل التعبيرات الواردة في اللغة على هذا النمط من التأليف، بل ينبغي الاعتراف بأن بعض التعبيرات تكون على غير هذا النمط، وإن كان الاصل في تأليف الجملة العربية ان يكون على النمط الذي ذكره.

وقد ذهب الخليل وسيبويه الى انه لا خبر له (ألا) التي تفيد التمني نحو قولهم «ألاماء ماء بارداً» انظر الكتاب ٣٥٩/١، الاشموني ١٥/٢، الهمع ١٤٧/١، وذهب الأخفش والكوفيون الى انه لا خبر لنحو قولنا (الانسان وعمله- انظر الاشموني ٢١٧/١).

ومعنى ذلك إن بعض التعبيرات يتألف من إسم وحرف، وبعضها يتألف من اسم ومعطوف. وهذا خروج على الطريقة العامة التي يقول بها النحاة.

صورة تأليف الجملة:

يظهر تأليف الجملة العربية بصورتين تبعاً للمسند: فعل مع اسم، واسم مع اسم. وبالتعبير الاصطلاحي فعل وفاعل أو نائبه، ومبتدأ وخبر نحو «أقبل سعيد» و«سعيد مقبل» وكل التعبيرات الاخرى إنما هي صور أخرى لهذين الاصلين.

والصورة الأساسية للجملة التي مسندها فعل، أن يتقدم الفعل على المسند اليه كما في جملة «أقبل سعيد» ولا يتقدم الفاعل^(١) على الفعل أو بتعبير أدق:

لا يتقدم المسند اليه على الفعل إلا لغرض يقتضيه المقام.

والصورة الأساسية للجملة التي مسندها اسم، أن يتقدم المسند إليه على المسند، أو بتعبير آخر؛ ان يتقدم المبتدأ على الخبر، ولا يقدم الخبر إلا لسبب يقتضيه المقام، أو طبيعة الكلام.

(١) نقول هذا تجوزاً وإلا فهو مبتدأ عند الجمهور.

والفرق بين هاتين الصورتين - أعني الجملة التي مسندها فعل والجملة التي مسندها اسم - أن الجملة التي مسندها فعل، إنما تدل على الثبوت. تقول مثلاً: يجتهدُ زيدٌ وزيدٌ مجتهدٌ، ويحفظُ زيدٌ وزيدٌ حافظٌ، ويطلعُ سعيدٌ وسعيدٌ مطلعٌ، ويتعلمُ سعيدٌ وسعيدٌ متعلمٌ، ويجودُ مصعبٌ ومصعبٌ جوادٌ ونحو ذلك. فأنت ترى في هذه الأمثلة جميعها ان الفعل يدل على التجدد والحدوث، والاسم يدل على الثبوت. تقول لصديقك: أظن أنك تنجح في هذا العام؟ فيقول لك (أنا ناجح) أي لوثوقه بنفسه ادعى إن الأمر منته وثابت، ولو لم يكن هذا الأمر قد تم فعلاً. فالفعل يدل على التجدد والحدوث، والاسم يدل على الثبوت. فإذا أردت الدلالة على الحدوث جئت بجملة مسندها فعل تقدم الفعل أو تأخر. وإذا أردت الدلالة على الثبوت جئت بجملة مسندها اسم. فالجملتان يجتهد سعيد وسعيد يجتهد كلتاها تدلان على الحدوث^(١) وإنما قدم المسند إليه لغرض من أغراض التقديم.

ثم إن الأصل أن يتقدم الفعل على المسند إليه - كما ذكرنا - فإذا جاء الفعل متقدماً لم يسأل عن سبب تقدمه، لأنه هو الصورة الأساسية، فإن تقدم المسند إليه سألنا عن سبب تقدمه.

وإذا جاء المسند إليه في الجملة التي مسندها إسم متقدماً، لم نسأل عن سبب تقدمه لأنه هو الصورة الأساسية لهذا التعبير، فإن تقدم المسند سألنا عن سبب تقدمه، فالتأليف الطبيعي للجملة العربية هو نحو هذا.

يقبل سعيد.

سعيد مقبل.

فإن تقدم «سعيد» في الجملة الأولى، أو تقدم «مقبل» في الجملة الثانية نظرنا في سبب ذلك.

(١) انظر حاشية يس على التصريح (١/١٧٣)، حاشية الصبان (١/٢١٠).

وكلا التعبيرين بدرجة واحدة بالنسبة إلى المخاطب، فكلاهما إخبار أولي والمخاطب خالي الذهب عن الموضوع، ويسمى هذا الضرب من الخبر «الخبر الابتدائي» إلا أن الفرق بينهما - كما ذكرت - أن الفعل يدل على الحدوث، والاسم يدل على الثبوت.

دلالة الجملة العربية

ينظر إلى دلالة الجملة العربية من جهتين:

١ - الدلالة القطعية والاحتمالية.

٢ - الدلالة الظاهرة والباطنة.

وسننظر في هذين النوعين.

١ - الدلالة القطعية والاحتمالية:

المدقق في الجملة العربية ودلالاتها على المعنى يرى أنها على ضربين:

أ- تعبير نصي أو قطعي أي يدل على معنى واحد.

ب- تعبير احتمالي أي يحتمل أكثر من معنى.

وهذا خط واضح في طبيعة دلالة الجملة العربية يبرز للمستقري بصورة جلية، فمن ذلك على سبيل المثال أنك لا تقول: (اشترت قدح ماء) بالاضافة و(اشترت قدحاً ماءً) فالجملة الأولى تعبيرٌ احتمالي، لأنها تحتمل أنك اشترت ماءً مقدار قدح، وتحتمل أنك اشترت القدح أي الإناء. أما الجملة الثانية فدلالاتها قطعية لأنها لا تحتمل إلا أنك اشترت ماءً مقدار قدح. جاء في (شرح الأشموني):

«النصب في نحو ذنوب ماءً، وحب عسلاً، أولى من الجر، لأن النصب يدل على أن المتكلم أراد أن عنده ما يملأ الوعاء المذكور من الجنس المذكور، وأما الجر فيحتمل أن يكون مراده ذلك وأن يكون مراده بيان ان عنده الوعاء الصالح لذلك»^(١).

(١) «شرح الأشموني» (١/١٩٧).

وتقول: (الذي يدخل الدار له جائزة) و(الذي يدخل الدار فله جائزة) فالجملة الاولى ذات دلالة احتمالية، لأنها تحتمل انك تعني بـ (الذي يدخل الدار) شخصاً معروفاً وان الجائزة ليست مرتبة على دخول الدار بل هو مستحقها قبل ذلك، كما تحتمل أن يكون الاسم الموصول هنا مشبهاً بالشرط، فالجائزة مرتبة على دخول الدار فكل من يدخلها يستحق الجائزة. وأما الجملة الثانية فذات دلالة قطعية لأنها لا تعني إلا المعنى الثاني أي فيها معنى الشرط والجزاء وهذه الفاء واقعة في جواب «الذي» كما تقع في جواب الشرط أي أن الجائزة مرتبة على دخول الدار^(١).

وتقول: «اعبد ربك خوفاً وطمعاً» و«اعبد ربك خائفاً وطامعاً» فالمنصوب في الجملة الاولى يحتمل الحالية، والمفعول لأجله، والمفعولية المطلقة، وفي الجملة الثانية حال ليس غير.

وتقول: (انا ضاربُ زيد) بالاضافة، و(أنا ضاربُ زيداً)، فالتعبير الأول يحتمل الماضي والحال، والاستقبال، فهو تعبير احتمالي، في حين أن الجملة الثانية هي نص، في أنها بمعنى الحال، أو الاستقبال، لأن اسم الفاعل المضاف، يحتمل الماضي كقوله تعالى: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤]، ويحتمل الاستمرار، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى... فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٥-٩٦] والحال، كقولك (انا ضارب سعيد الآن) والاستقبال، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٩].

أما الذي ينصب مفعولاً به، فلا يدل إلا على الحال او الاستقبال^(٢).

وتقول (لا رجل في الدار) و(لا رجل في الدار)، فالأولى نص في نفي الجنس، أما الثانية فتحتمل نفي الجنس ونفي الوحدة^(٣).

(١) انظر «شرح الرضي على الكافية» (١٠٩/١).

(٢) «الأشموني» (٢٩٢/٢) وما بعدها، «التصريح» (٦٦-٦٥/٢).

(٣) «الأشموني» (٢/٢)، «حاشية الصبان» (٢٣٦-٢٣٧)، «الرضي على الكافية» (٢٧٩/١).

وتقول: (ما جاءني رجلٌ) و(ما جاءني من رجل) فالاولى تحتمل نفي الجنس ونفي الوحدة، أي ما جاءني رجلٌ واحداً بل أكثر، والثانية لا تحتمل إلا نفي الجنس^(١).

وتقول: (كرم زيدٌ ضيفاً) و(كرم ضيفُ زيدٍ) فالجملة الاولى تحتمل أن يكون المقصود الثناء على ضيف زيد بالكرم، كما تحتمل أن يكون زيدٌ كريماً حال كونه ضيفاً، أي زيد هو الموصوف بالكرم، أما الثانية، فلا تحتمل إلا أن يكون الثناء على ضيف زيد^(٢). جاء في (شرح الرضي على الكافية) في (طاب زيد أباً) «يجوز أن تريد بـ (أباً) نفس زيد وأن تريد به أباه»^(٣).

إلى غير ذلك من الأمثلة.

وهذا خط واضح في التعبير العربي.

٢- الدلالة الظاهرة والباطنة:

ونعني بالدلالة الظاهرة المعنى الذي يعطيه ظاهر اللفظ مثل سافر محمد ونام خالد ونحو قوله تعالى ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وأما الدلالة الباطنة فهي الدلالة التي تؤدي عن طريق المجاز والكنيات والملاحن والاشارات، وما إلى ذلك، كقوله (رمتني بسهم ريشه الكحل) أي بنظرة من عين مكحولة وقوله (بعيدة مهوى القرط) أي طويلة العنق وقولهم (بنو فلان فلان يطؤون الطريق) أي أهل الطريق جاء في (دلائل الإعجاز): «الكلام على ضربين:

ضربٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيد، وبالانطلاق عن عمرو فقلت: عمرو منطلق وعلى هذا القياس.

(١) «حاشية الصبان» (٢/٢١٢)، «التصريح» (٨/٢)، «الرضي على الكافية» (١/٢٧٩).

(٢) انظر «مغني اللبيب» (٢/٤٦٣).

(٣) «الرضي على الكافية» (١/٢٣٩).

وضرباً آخر أنت لا تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة. ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها الى الغرض. ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل أو لا ترى إنك إذا قلت: هو كثير رماد، القدر، أو قلت: طويل النجاد، أو قلت في المرأة: نؤوم الضحى، فانك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى، على سبيل الاستدلال، معنى ثانياً، هو غرضك كمعرفتك من كثير رماد القدر إنه مضياف ومن طويل النجاد، إنه طويل القامة... وكذا اذا قال: (رأيت أسداً) ودلّك الحال على إنه لم يرد السبع علمت أنه أراد التشبيه، إلا انه بالغ فجعل الذي رآه، بحيث لا يتميز عن الأسد في شجاعته...

وإذ قد عرفت هذه الجملة، فهنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول: المعنى ومعنى المعنى. تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل اليه بغير واسطة. وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى، إلى معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى، إلى معنى آخر كالذي فسرت لك^(١).

(١) «دلائل الاعجاز» (٢٠٢-٢٠٣).